

ما يهون على الإنسان المصائب



- محاور الموضوع**
- تمهيد
 - إذن لا بد من المصائب
 - ما يهون المصائب
 - ما من بلية إلا والله فيها نعمة تحيط بها .
 - الإيمان بنعمة البلاء وبمصيبة الرخاء
 - كرامة الله نهاية بدايتها بلاء .
 - المؤمن مبتلى على قدر حبه .
 - البلاء والتكامل .
 - التأسي بما حصل في كربلاء .

تصدير:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (١)

الهدف:

بيان العوامل التي تساعد المبتلى على تحقيق المعاناة عنه وانتقاله الى مرحلة الرضا.

(١) - قرآن كريم / سورة الحديد ٢٢

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرِّحَىٰ جُثَّةً مِمَّنْ فُضِّسَ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٨)

وعن رسول الله ﷺ: «لا حاجة لله فيمن ليس له في ماله وبدينه نصيب..»

(٩) وعن علي بن الحسين ﷺ قال: «إني لأكره أن يعافى الرجل في الدنيا ولا يصيبه شيء من المصائب» (١٠) ومن جوامع الكلم ما روي عن مولانا أمير المؤمنين ﷺ قوله: «كفى بالسلامة داء» (١١).

ما يهون عن الإنسان المصائب

١ - ما من بلية إلا والله فيها نعمة

تحيط بها :

عندما يقف العبد على حقيقة امتحان الله له ويكون على بصيرة من أمره لا يهون عليه تحمل المصائب فحسب بل يصبر وربما يصل الأمر لبعضهم إلى الرضا بما يواجهه من بلاءات ومصائب يصور لنا الشهيد مطهري في كتابه العدل الإلهي بأن البلاء الإلهي هو لطف الله خفي فهو كحبة الجوز ظاهره القشور القاسية إلا أنه يحتوي على ما فيه فائدة ونفع للإنسان وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام العسكري ﷺ حيث قال «ما من بلية إلا والله فيها نعمة تحيط

إذن لا بد من المصائب:

التلازم بين إيمان العبد وبلائه تلازم غير منفك وعليه فليس بمقدوره أن يردده بل عليه التكيف مع البلاء والمصائب وبعبارة أخرى عليه أن يربي نفسه على تحملها والفحص عن الأمور التي يهون عليه حينما تعيبه وأما الدليل على الملازمة فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (٤) ﴿أَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَيَمَحُوكُمُ الْكُفْرَ﴾ (٥) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِيْنَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦) وقوله تعالى ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٧)

وأما من السنة الشريفة ما عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي جعفر ﷺ هل يبتلى الله المؤمن فقال ﷺ: «وهل يبتلى إلا المؤمن؟ حتى أن صاحب ياسين» قال «يا ليت قومي يعلمون» كان مكنعا، قلت وما المكنع؟ قال: «كان به جذام» (٨)

وبمقتضى الملازمة المذكورة فإذا لم يصب الإنسان البلاء فلينظر في أعماق نفسه وليتطلع إلى حقيقة علاقته بالله سبحانه وتعالى إذ لعله لا إيمان له ولربما هو بعيد عن الله مبغوض عنده، يقول الله تعالى:

تمهيد:

إن المصائب والبلايا التي تصيب العباد منها ما هو نتيجة طبيعية لأفعالهم ومنها ما هو إمتحان واختبار لرفع درجاتهم، فالأول إنما يكون بسبب ما تقتضيه الأيدي وتجترحه الجوارح من سيئات فيصيبهم الله عز وجل بألوان المصائب وقد أشار إليه القرآن: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرُ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَمَّْا هُمْ يُرْجَعُونَ﴾ (١) وكذلك أشار أمير المؤمنين ﷺ بقوله «إن الله يبتلى عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات، لئيبوب تائب ويقطع مقلع ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر» (٢) وهذا القسم سيكون خارج البحث، وسيتم التركيز على النحو الثاني وهو أن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء إختباراً من أجل أن يرفع درجته فعن الإمام الباقر ﷺ قال «المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل ميتة إلا أنه لا يقتل نفسه» (٣)

(٨) - قرآن كريم / سورة الزخرف ٢٢

(٩) - بحار - ج ٦٧ - ص ١٧٤

(١٠) - بحار - ج ٨٢ - ص ١٧٦

(١١) - بحار - ج ٨١ - ص ١٧٤

(٤) - قرآن كريم / سورة آل عمران ١٧٩

(٥) - قرآن كريم / سورة آل عمران ١٤١-١٤٢

(٦) - قرآن كريم / سورة آل عمران ١٥٤

(٧) - بحار - ج ٦٧ - ص ٢٤١

(١) - قرآن كريم / سورة الروم ٤١

(٢) - بحار الانوار - ج ٧٦، ونوادر الراوندي

ح ١٤٣ - ص ١٤٣

(٣) - بحار - ج ٨١ - ص ١٩٦

بها»^(١) وبالرجوع إلى الآيات الشريفة في الكتاب الكريم فإننا نقف على الكثير من مصاديق اللطف المذكور فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَنْبُؤُهُمْ أُتِيهِمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢) ومن السنة فمن علي عليه السلام: «لتبليبن بلبلة، ولتغربلن غربلة، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقن سباقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا»^(٣) وعنه أيضا عليه السلام: «ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتبعدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك أبواباً إلى فضله»^(٤)

٢- نعمة البلاء ومصيبة الرخاء:
لو آمن العبد بأن ما يصيبه من بلاءات وما يحل عليه من رزايا ومصائب بأنها نعم إلهية وليست نقم، وأنه يستبشر حين يواجه المصيبة ويستوحش عند تأخرها، لكان ذلك دليل على عمق إيمانه بربه ووفق للإطلاع على خفايا الأمور، وهنا يقول مولانا الإمام الكاظم عليه السلام: «لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة وذلك أن الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة عنه الرخاء»^(٥) ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا رأيت ربك يوالي عليك البلاء فاشكره وإذا رأيت يتابع عليك النعم فاحذر»^(٦)

٣- كرامة الله نهاية بدايتها بلاء:

بلوغ الدرجات العليا لا تحصل سدى ولا تتحقق لأحد عبثاً بل لا يبلغها إلا الصابرون ولا ينال الكرامات الإلهية إلا الفائزون بعد الاختبار والامتحان فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام لم يبلغ درجة الإمامة إلا بعد إبتلائه بكلمات من ربه فلما أتمهن قال له الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٧) وقال رسول الله

ﷺ: «ما كرم عبد على الله إلا إزداد عليه البلاء»^(٨) وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «قال ما أثنى الله تعالى عن عبد من عباده من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ إلا بعد إبتلائه ووفاء حق العبودية فيه، فكرامات الله في الحقيقة نهايات بداياتها البلاء»^(٩).

٤- المؤمن مبتلى على قدر حبه:
تصف الروايات بأن مثل المؤمن كمثل كفة الميزان، فكلما زيد في إيمانه زيد في بلائه ومعنى ذلك إذا تباطأت عنه التقم فليعلم أنه قد نقص في دينه وليكن همنا ملاقة الله ولا خطيئة علينا ولا نبالي في الدنيا بما يصيبنا، وهكذا فليثب الإنسان على طاعة ربه وطاعة أوليائه وليتزد من حبه لهم حتى ولو تجلبب بالبلاء، لأن المؤمن يبتلى على قدر حبه وإلى ذلك أشارت الروايات فقال مولانا الباقر عليه السلام: «يبتلى المرء على قدر حبه»^(١٠) وهكذا قال عليه السلام: «لرجل من أصحابه حين قال له والله إني لأحبكم أهل البيت عليه السلام فاتخذ البلاء جلباباً فوالله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم»^(١١)

٥- البلاء والتكامل:
من يتدبر بما مر من آيات وروايات وفيما لم يتم ذكره هنا يجد أن العبد له طريق تكاملي إلى الله سبحانه وتعالى وأن لا يبلغ الدرجة العليا بعد ترك السفلى إلا فوزه بالإمتحان وبناء عليه فإن طريق الكمال مملوء بالبلاءات والمصائب ولذا فكان أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك بقوله ﷺ: «إن أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل»^(١٢) وكذلك يدل عليه ما جاء في مطلع دعاء التدبة حيث قال: «اللهم لك الحمد على ما جرى به قضائك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذ اخترت

لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال». وأما بالنسبة للمؤمن فكذلك يجري عليه نفس القانون المذكور وهو أنه لا يتكامل إلا بعد إبتلائه وقد أشار إليه الرسول الاعظم ﷺ بقوله: «إن العبد لتكون له المنزلة من الجنة فلا يبلغها بشيء من البلاء حتى يدركه الموت ولم يبلغ تلك الدرجة فيشدد عليه عند الموت فيبلغها»^(١٣)

٦- التآسي بما جرى في كربلاء:
من العوامل الأساسية التي تساعد المبتلى على تخفيف ما أصابه أن يعيش ما جرى في كربلاء وليتخذ من أسماءها وشخصياتها قدوة له وأسوة يقتدي بها فإنها تخفف عن مصائبه وربما لم يعد يشعر بها لعظمة ما حصل في كربلاء فزيرة عظمت على أهل السماء قبل أن تتعظم على أهل الأرض ومن تلك المواطن التي يقف عليها ما جرى على مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام لا سيما صبره على شماتة الأعداء وهو مقبّل وقيد بسلاسل الحقد والبغض إلا أنهم لم يتمكنوا من إسكاته عن جرائمهم وفضحهم أمام البعيد والقريب من جملة ذلك ما جاء في بعض الأخبار أنه لما حُمل علي بن الحسين الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية فأوقف بين يديه، قال له يزيد لعنه الله ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فقال مولانا علي بن الحسين عليه السلام: ليست هذه فينا إن فينا قول الله عزوجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهُ﴾^(١٤) - وعن الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى وما أصابكم من مصيبة قال ﷺ: «أرأيت ما أصاب علياً وأهل بيته هو بما كسبت أيديهم؟ وهم أهل طهارة معصومين؟ قال قال إن الله يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب»^(١٥) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١٢) - بحار ج ٨٢ - ص ١٦٧ .
(١٤) - نوادر الراوندج ج ٥ - ص ٢٤٧ .
(١٥) - بحار الأنوار ج ٨١ - ص ١٨٠ .

(٨) - بحار ج ٩٦ - ص ٢٨ .
(٩) - بحار ج ٦٧ - ص ٢٢١ .
(١٠) - بحار ج ٦٧ - ص ٢٢٦ .
(١١) - بحار ج ٦٧ - ص ٢٢٨ .
(١٢) - الكافي ج ٢ - ص ٢٥٢ .

(١) - بحار ج ٧٨ - ص ٢٦٠ .
(٢) - قرآن كريم / سورة الكهف ٧ .
(٣) - بحار ج ٥ - ص ٢١٨ .
(٤) - شرح النهج ج ١٢ - ص ١٥٦ .
(٥) - بحار الأنوار ج ٦٧ / ص ٢٢٧ .
(٦) - غرر الحكم .
(٧) - قرآن كريم / سورة البقرة ١٢٤ .